تصدير

كن حريصاً على معرفة ذاتك ، والتسلط عليها لتقطع عنك شروراً ومساوىء كثيرة تمنعك من الوصول الى الحقائق الصحيحة السالمة .

التسلّط هو قوّة التصرّف بالشيء حسب الاختيار ، وهذه القوة لا يمكن حصولها بدون العقل والارادة ومعرفة الذات . والله سبحانه وتعالى قد وهبك عقلاً قادراً على البحث والدرس والتنقيب والاستقراء .. وأنت لم تعطَ هذه القوة عبثاً ، بل إنما غُرست فيك لتتعهّدها بالاهتمام ، وتنظم بها أمورك ، وتسود على حياتك . ولا يخطر لك ان في الحياة رجاءً واحداً لك ، إذا لم تكن أميناً في جميع معاملاتك مع ذاتك . فاذا أعرضت عن الرضوخ لأحكام عقلك والاصغاء الى أوامره ، فثق بأنك سائر حتماً الى الفشل والهوان. لأن في وسعك ان تخدع نفسك أكثر من أي خدّاع كاذب في العالم . وإذا أخلصت في استعمال عقلك ، وجدت في الحال ان اكثر

اوجاعك وهمومك ناتجة عنك دون جميع الناس . فلا تضع الملامة على الطبيعة او الدهر او الوراثة او المحيط او المجتمع او العالم الرديء الظالم. فان هذا العالم ممتلىء بالسعداء من الناس . وأنت وحدك المجرم في كل ما يصيبك من الآلام ، لأنك لا تسير في السراط المستقيم . واذا واظبت على التفكير بان شفاءك كائن في ما هو خارج عنك ، فانك تظل بعيداً عن الشفاء. والسبب في ذلك بسيط جداً. فأنت لا تقدر أن تغيّر الوجود ، ولا يمكنك ان تعدّل شرائعه . ولكنك تستطيع ان تغيّر نفسك اذا عرفتها حقّ المعرفة .

ان هذا العالم سائر الى الأمام أبداً. وهو لا ولن ينتظرك حتى تفرغ من تنهّداتك ، وتنقطع عن تذمّرك وشكواك . كما انه لن يقف لينصفك من خصومك . فأنصف نفسك من نفسك وهي عدوك الأوحد في الحياة . وسر الى الامام مع هذا العالم العظيم .

أجل ، أنت عدوّ نفسك اللدود ، ولكنك لا تريد أن تصدّق ذلك . أنت تخدع نفسك وتحتال عليها بمكر ودهاء في كل يوم من حياتك. فلكي تبرّر نفسك في ما أنت عليه من الخمول ، كثيراً ما نسمعك تُنحي باللائمة على هذا وذاك وغيرهما قائلًا : انّهم أنانيّون منافقون محتالون ، ولم يبلغوا الى مراكزهم الا بالمكر والدهاء والغدر والرياء . ولذلك تأبى عليك نفسك الشريفة ان تكون مثلهم . ولكنك واهم في رأيك ، فأنت مضطر ان تكون مثلهم كما انك لست مرغماً ان تكون على ما أنت عليه من الخمول

والنجاح يقضي عليك ان تستعمل دماغك وتختار لنفسك خير الوسائل الآيلة لتقدمك وفوزك محتفظاً بعزّة النفس وشرفها .

ان السواد الأعظم منّا يعرف أشياء ويحيط أموراً كثيرة . وأما عن نزواتهم فهم متجاهلون . ويتصفحون أحوال غيرهم بكل اهتمام ، وعن أحوالهم متغافلون . يطلبون معونة الله في الأمور الخارجية ، ويهملون الباطنة حيث وجوده هناك . ايها القارىء الكريم ، ادخل الى صميم نفسك لأنك كلما كنت عارفاً ذاتك تزيد معرفتك بالحكمة . لان معرفة شرف النفس تدلنا بالحقيقة الى معرفة عظمة الخالق وهي أكبر دليل لنا . ومتى عرفت ذاتك ، امتلكت التواضع وبه تقتني خوف الله. وهذا الخوف رأس الحكمة (مزمور ١٢٠) فنعم الأمر هو اذا عرف الانسان ذاته ، لان معرفة الذات هي سنّة وفدت من السماء ، ولذلك لما كان المعلم الأول يشفي المرضى كان يسألهم : ماذا يريدون (لوقا ١٨) ليس لأنه غير عارف أغراضهم فيما يسألونه ، حاشا ، وانما كان غرضه ان يعرفوا ما هم محتاجون اليه باقرارهم من أفواههم . وداود النبي لما طلب الرحمة الالهية ليستعطف الباري الى المغفرة له قال : « لأنني أنا عارف بآثامي وخطاياي في كل حين » (مزمور ٥٠) . ان الله سبحانه وتعالى سأل آدم « أين أنت » وذلك ليستدرجه الى معرفة ذاته ويقرّ بذنبه ، فعرف ذاته وخلص . وأما ابنه قايين فتاه على وجهه من قبيل عدم هذه المعرفة وهلك .

ولا بد لي قبل التبسّط في هذا البحث من التصريح انني بهذا الجهد المتواضع قد اوفيت على الغاية ، ولكني حاولت مجرد محاولة على مشقة وصعوبة

العلاج . وكان هدفي فيه التبسيط لما يستدق على الفهم، وأرجو أن أكون قد راعيت الأمانة وتوخيت الحرص على آراء الثقات الذين استندت اليهم، والعلماء الذين أخذت عنهم ، لأن هذه البحوث قد تجاذبتها مذاهب عديدة، وتداولتها نظريات مختلفة ، وأحسبها ستظل أبداً مجال تباين واختلاف بين أصحاب هذه المذاهب على ممرّ الأيام .

obeikandl.com